الدراسات الإسلامية

منهج السيد محمد مهدي الخرسان
في التعامل مع القراءات القرآنية

المدرس الدكتور
مؤمل جواد خليفة
جامعة الكوفة ـ كلية التربية

منهج السيد محمد مهدي الخرسان في التعامل مع القراءات القرآنية

The approach of Sayyid Muhammad Mahdi al-Khursan in dealing with Quranic recitations.

المدرس الدكتور
مؤمل جواد خليفة
جامعة الكوفة ـ كلية التربية
Lec.Dr.Moamel Jawad Khalifa
University of Kufa- faculty of Education
moamelj.khaleefah@uokufa.edu.iq

ملخص البحث:

تحاول هذه الدراسة الكشف عن المنهج الذي اتبعه السيد محمد مهدي الخرسان (أعلى الله مقامه) في التعامل مع القراءات القرآنية من خلال استقراء آرائه المبثوثة في مؤلفاته المطبوعة. **وقد حاولت هذه الدراسة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة والإشكاليات المعرفية ومن أهمها:**

١- كيف وظَّف السَّيد الخرسان منهج التحقيق التاريخي في كشف العلل الخفية لروايات القراءات القرآنية؟

٢- ما الرأي الراجح عند السيد الخرسان في مسألة الأحرف السبعة والقراءات؟

٣- هل وظَّف السيد الخرسان القراءات القرآنية في توجيه المعنى التفسيري؟

إنّ **الهدف العام** من الدراسة تسليط الضوء على منهج السيد الخرسان في التعامل مع القراءات الامر الذي يبين جلياً رأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام القائل بالتمييز بين القرآن الكريم "النص الالهي" والقراءات القرآنية "النص البشري" . وفي سبيل ذلك **اعتمد البحث** منهج التّحليل في دراسته لموضوع البحث بعرض الأقوال والآراء مشفوعةً بأدلتها وبراهينها ومناقشتها وترجيح ما هو صحيح بحسب الأدلة اللازمة للترجيح، ولا يدَّعي الباحث أنه جمع كلّ ما يتعلق بالموضوع في هذه المدة القصيرة نسبياً فهذه طبيعة الانسان مطلقاً. وفيما يتعلق **بأهم المصادر والمراجع** التّي أُعتمدت في الكتابة فقد تنوعت مواضيعها لتشتمل على عيون تفاسير الإمَامِيّة القديمة والمعاصرة، وكذا أهم كتب

حديث الإمَامِيّة فضلاً عن المصادر الحديثية للمدارس الأُخر، وأُمّات كتب علوم القرآن وتأريخه، وكتب التّأريخ، وكتب المعجمات واللغة والفنون الأُخر التّي ترتبط بموضوع الدّراسة. وفيما يتعلق بأهم الدراسات السابقة فلم يجد الباحث مايرتبط بأصل الموضوع ولا توجد دراسة أكاديمية سوى أطروحة دكتوراه بعنوان " جهود محمد مهدي الخرسان دراسة في الأطر المنهجية والمعرفية" للباحث جعفر ناهي مطير من كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد وهي دراسة تعنى بدراسة المنهجية التي اتبعها السيد الخرسان في مؤلفاته وتحقيقاته ولاترتبط بالقراءات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية،محمد مهدي الخرسان،الاحرف السبعة،القراءات القرانية عند الامامية

Research Summary

This study attempts to uncover the approach followed by Sayyid Muhammad Mahdi al-Khorasan in dealing with Quranic readings by examining his views expressed in his published works.

This study attempts to answer a set of epistemological questions and problems that collectively constitute the research hypotheses. The most important of these are:

1- How did Sayyid al-Khorasan employ the method of historical investigation to uncover the hidden causes of the narratives of the Quranic readings?

2- What is the prevailing opinion of Sayyid al-Khorasan regarding the issue of the seven letters and the readings?

4- Did Sayyid al-Khorasan employ the Quranic readings to guide the interpretive meaning?

The general goal of the study is to shed light on the methodology of Sayyid Al-Khursan in dealing with readings, which clearly illustrates the opinion of the Ahl al-Bayt school of thought regarding the distinction between the Holy Quran as the 'divine text' and the Quranic readings as the 'human text'. To achieve this, the research relied on the analytical method in studying the subject by presenting statements and opinions accompanied by their evidence and arguments, discussing them, and weighing what is correct according to the necessary evidence for judgment. The researcher does not claim to have gathered everything related to the topic in this relatively short period, as this is the nature of humans in general. Regarding the most important sources and references relied upon in the writing, their topics varied to include a range of ancient and contemporary Imamite interpretations, as well as the main books of Imamite hadith, in addition to hadith sources from other schools, fundamental texts on the sciences of the Quran and its history, history books, lexicons, language, and other arts related to the study topic.

Keywords: Quranic readings, Muhammad Mahdi Al-Khursan, the seven letters, Quranic readings among the Imamiyah.

المقدمة:

تُشكل مسألة تعدد قراءات النص القرآني نقطة جدلية في تاريخ التّعامل مع النّص القرآني، ففي الوقت الذي تتعامل بعض المذاهب الإسلامية مع القراءات بنظرة الوحيانية والتساوي في المرتبة مع آيات القرآن الكريم، فإنّ القسم الآخر منهم يميز بين الوحي الإلهي والنصوص القِرائية، الأمر الذي تجسد في القول بوحيانية القرآن وبشرية القراءات، وفي هذا السياق يحاول البحث تسليط النّظر على آراء السيد محمد مهدي الخرسان رحمه الله في مجال القراءات القرآنية "بعدّه علماً من أعلام مدرسة النجف الاشرف الدينية" عِبر استقراء آرائه المبثوثة في مؤلفاته المطبوعة.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المعرفية ومن أهمها:

٥- كيف وظَّف السَّيد الخرسان منهج التحقيق التاريخي في كشف العلل الخفية لروايات القراءات القرآنية؟

٦- ما الرأي الراجح عند السيد الخرسان في مسألة الأحرف السبعة والقراءات؟

٧- هل وظَّف السيد الخرسان القراءات القرآنية في توجيه المعنى التفسيري؟

إنّ هدف الدراسة تسليط الضوء على منهج السيد الخرسان في التعامل مع القراءات القرآنية، وهذا الأمر يسهم في بيان رأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام القائل بالتمييز بين القرآن الكريم "النص الإلهي" والقراءات القرآنية "النص البشري" .

وفي سبيل ذلك **اعتمد البحث** منهج استعراض الآراء والأقوال مشفوعةً بأدلتها وبراهينها ومناقشتها وترجيح ما هو صحيح بحسب الأدلة اللازمة للترجيح، ولا يدَّعي الباحث أنه جمع كلّ ما يتعلق بالموضوع في هذه المدة القصيرة نسبياً فهذه طبيعة الإنسان مطلقاً.

وقد انتظم البحث في محورين انطوت في داخلهما نقاط عدة فضلاً عن المقدمة والخاتمة بأهم نتائج البحث، أذكرهما على النحو الاتي:

المحور الأول: منهج السيد الخرسان في تصويب روايات القراءات القرآنية.

المحور الثاني: موقف السيد الخرسان من نزول القرآن على سبعة أحرف.

ولم يخلُ البحث من صعوبات واجهته، وأبرزها سعة المؤلفات المطبوعة للسيد الخرسان، ما جعل رحلة البحث تتطلب وقتاً طويلاً في تتبع المصادر واستقرائها بحثاً عن الآراء في مسألة القراءات القرآنية.

وفيما يتعلق **بأهم المصادر والمراجع** التّي أُعتمدت في الكتابة فهي المؤلفات المطبوعة للسيد الخرسان فكانت منهجية البحث باستقراء تلك المؤلفات على سعتها واستخراج الآراء التي تتعلق بالقراءات القرانية ثم تحليلها ومناقشتها

وتوثيق مصادرها من عيون تفاسير الإمَامِيّة القديمة والمعاصرة، وكذا أهم كتب حديث الإمَامِيّة فضلاً عن المصادر الحديثية للمدارس الأُخر، وأُمّات كتب علوم القرآن وتأريخه، وكتب التّأريخ، وكتب المعجمات واللغة والفنون الأُخر التّي ترتبط بموضوع الدّراسة.

وكلّي أملٌ أن يكون هذا العمل اليسير ذخرًا وشفيعًا يوم المحشر وسبيلًا إلى بيان مقام علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام "أُمناء الرّسل" وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت إليه أُنيب وهو حسبي أولاً وآخراً.

المحور الأول: منهج السيد الخرسان في تصويب روايات القراءات القرآنية:

عُرِف السيد الخرسان بمنهج التتبع والتمحيص في الحقائق التاريخية وهذا الأمر يظهر جلياً عند مطالعة موسوعة ابن عباس وموسوعة ابن ادريس الحلي إضافة إلى مؤلفاته الأخرى، وقد أفاد السيد الخرسان من هذا المنهج في كشف التوهم والغفلة في مواضع عدة من روايات القراءات القرآنية، فكان دوره تحديد مواطن التوهم والغفلة والتنبيه عليها وتصويبها بما صحّ من الحقائق التاريخية، وفيما يلي بعض النماذج التي نبَّه عليها السيد الخرسان رحمه الله تعالى.

أولا: صحة الورود ودوره في نسبة القراءة لغير قارئها : شخّص السيد الخرسان حصول حالة من التوهم لدى ياقوت الحموي في معجم الأدباء لما نقل رواية قِرائية عند الآية ٧٧ من سورة الزخرف تضمنت حواراً بين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس حول صحة تلك القراءة، وقد تحقق السيد الخرسان من صحة تلك الرواية بالرجوع الى المصادر الأم وتبين عدم دقة ما نقله الحموي، وفيما يأتي نعرض ما رواه ياقوت في معجمه ثمّ نأتي بتعقيب السيد الخرسان على تلك الرواية أثناء نقده وتعليقه على بحث الدكتور عبد الكريم بكار الأستاذ بجامعة الملك محمد بن سعود بالرياض والموسوم بـ(ابن عبّاس رضى الله عنه مؤسّس علوم العربية)

قال ياقوت: (روي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] أنكر عليه عبد الله بن عباس فقال عليّ: هذا من الترخيم في النداء، فقال ابن عباس: ما أشغل أهل النار في النار عن الترخيم في النداء، فقال علي: صدقت. فهذا يدل على تحقّق الصحابة بالنحو وعلمهم به))[1].

إنَّ السيد الخرسان يرى أن هذه الرواية وقع فيها توهم من قبل الحموي فالإنكار من ابن عباس إنما كان على قراءة ابن مسعود لا على الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذ الرأي كان بعد التحقق والرجوع الى المصادر التفسيرية عند الامامية كتفسير مجمع البيان للطبرسي (٥٤٨هـ) وتفسير الصافي للفيض الكاشاني

(١٠٩١هـ)، ثم مصادر المدارس الاخرى كتفسير الكشاف للزمخشري(٥٣٨هـ) وتفسير الرازي(٦٠٦هـ) والنسفي(٧١٠هـ) والآلوسي(١٢٧٠هـ) ليتبين مما أورد في هذه المصادر أن إنكار ابن عبّاس لم يكن على كلام الامام علي عليه السلام بل على قراءة ابن مسعود.

يقول السيد الخرسان تعقيباً على هذه الرواية (لقد ذكر قراءة الإمام عليّ (عليه السلام) (يا مال)، صاحب (الصافي) نقلاً عن (مجمع البيان)، وهو كذلك في القراءة، قال: (((يا مال)، وروي ذلك عن عليّ (عليه السلام)))[٢]، ولم يذكر عن ابن عبّاس في هذه القراءة إنكاراً عليها، نعم، ورد في التفاسير التالية: تفسير الرّازي[٣]، وتفسير الكشاف[٤]، وتفسير الآلوسي[٥]، وتفسير النسفي[٦]، وتفسير اللباب لابن عادل[٧]، وفي (التحرير والتنوير) في تفسير الآية في سورة الزخرف (٧٧)، قال: ((ومن النوادر المتعلّقة بهذه الآية ما روي أنّ ابن مسعود قرأ: (ونادوا يا مال)، بحذف الكاف على الترخيم، فذُكرت قراءته لابن عبّاس، فقال: ما كان أشغل أهل النار عن الترخيم))[٨].

وبعد هذا الاستعراض لما ورد في المصادر التاريخية يعطي السيد الخرسان رأيه فيما رواه الحموي فيقول (ولعلّ ياقوت وهِمَ في ذكر إنكار ابن عبّاس لتلك القراءة فجعله على عليّ (عليه السلام)، بينما هو على ابن مسعود) [٩]

ثانياً: معالجة الانتقائية والخلط في بعض القراءات القرانية:

شخص السيد الخرسان اعتماداً على منهجه الاستقصائي محاولات غريبة للانتقائية غير المقبولة والخلط بين الروايات عند قراءة ابن عباس للآية ٨٦ من سورة الكهف ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [الكهف: ٨٦]) وكان ذلك في أثناء تعقيبه على مقال الدكتور الخياطي المنشور في مجلة دار الحديث الحسنية و الموسوم بـ(شواهد التفسير عند ابن عبّاس في مسائل ابن الأزرق) وهو ما سنعرضه أولا ثم نأتي بالملاحظات النقدية التي شخصها السيد الخرسان رحمه الله .

١- عرض النص : يقول الدكتور الخياطي في حديثه عن قراءة ابن عباس (عينٍ حَمِئةٍ) وقراءة معاوية وعمرو بن العاص (عينٍ حَامِيةٍ): (واستشهد أيضاً بشعر تبّع الحميري على قراءة (حَمِئَةٍ)، وكان ابن عبّاس يقرأها كذلك، وتنازع مع معاوية وعمرو بن العاص، وقيل: (عبد الله بن عمرو بن العاص)، حيث وجدهما يقرءان (حامية)، فاختلف معهما، فطلب معاوية وابن العاص شاهداً من كلام العرب على قراءته، فلقي ابن عبّاس نافع بن الأزرق وسأله؟ فأنشده بيت تبّع، وكان نافع يحفظ شعر تبّع والبيت في شعر لتبّع يذكر ذا القرنين وكلفه بالعلم من أجله:

فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرمد)[١٠]

وقد نبّه السّيد الخرسان الى مواطن الخلل فيما استدل به الدكتور الخياطي فتعقب هذا الكلام بعدة ملاحظات نقدية فيما يلي ملخصها:

٢- نقد النص:

أ: إغفاله ذكر استدلال معاوية برأي كعب الأحبار لتعضيد قراءته ، وقد دقق السيد الخرسان في معرفة سبب ذلك واحتمل فيه الاحتمالات التالية :

ربّما كان استيحاشاً لذكره لأنّه مات قبل أن يتسمّى معاوية – ظلماً – بأمير المؤمنين، وسمّاه أتباعه، كما قال له عبد الله بن عمرو ابن العاص، فإنّ وفاة كعب كانت في أواخر أيام عثمان[١١].

لأنّه قرأ اتّهام الصحابة لكعب بالكذب، وقريب منه قول معاوية: ((إن كنّا لنبلو عليه الكذب))[١٢]، فاستوحش من ذكره فأعرض عنه[١٣]

لأنّه رأى جواب كعب فيه ترويج للتوراة، والتنويه بها، مع ما ورد في القرآن والسُنّة من عدم الاطمئنان إلى ما يرويه الأحبار والرهبان لأنّهم (يُحَرِّفُونَ اَلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)[١٤] [١٥]

ب- : عند قول الدكتور الخياطي: ((فطلب معاوية وابن العاص شاهداً من كلام العرب على قراءته) فإن السيد الخرسان راجع هذا الخبر في مصادره التي ذكرها الخياطي ليجد أن الدكتور الخياطي لم يكن أمينا فيما نقل مما دعاه الى القول (ولدى مراجعة مصادره التي ذكرها، لم يرد ما ذكره في شيء منها، سوى ما جاء في كتاب (التيجان في ملوك حمير) برواية وهب بن منبه، فقد ورد الخبر في ص ١١١ – وهذا الكتاب مطبوع وموضوع كما سيأتي – وذكر بعد ذلك الخبر كاملا نقلا عن كتاب التيجان في ملوك حمير وننقله كاملا لتتضح مواضع التغيير :

قال: دخل عبد الله بن عبّاس بمكّة على معاوية بن أبي سفيان وعمرو ابن العاص بعد وفاة عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه)، ومعاوية وعمرو يقرآن سورة (الحمد لله) الكهف، فقرأ معهم حتّى قرؤوا: (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ)[١٦]، فقرأ معاوية وعمرو (وجدها تغرب في عين حامية) من الحرارة، وقرأ عبد الله (حمئة) من الحمأة.

فقالا: يا بن عبّاس! قرأت في (عين حمئة) من الحمأة، وقرأنا نحن (حامية) من الحرارة، ولنا صحبة برسول الله ﷺ كما هي لك، ونحن اثنان وأنت واحد؟ فعليك البيان أو فارجع إلى قراءتنا.

قال لهما: نعم، فخرج من عندهما فلقي كعب الأحبار، فقال كعب: مالك يا أبا محمّد أراك حثيثاً مشغولاً؟

قال له عبد الله: نعم، يا كعب الأحبار! دخلت على معاوية وعمرو وهما يقرآن (الحمد لله الكهف)، فقرءا (وجدها تغرب في عين حامية)،

وقرأت أنا (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) من الحمأة.

فقال له: صدقت يا عبد الله! والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً ما أنزل على موسى بن عمران من التوراة إلاّ حمئة.

قال له عبد الله: صدق الله ورسوله، ولكنّهما طلبا شاهداً من كلام العرب.

ثمّ مضى عبد الله بن عبّاس فلقيه نافع بن الأزرق، فقال له: ما لك يا بن عبّاس؟ فقال له كما قال لكعب، وادعا عليه قصّة القوم.

فقال له: فأين أنت من قول تبّع تبان أبي كرب في قوله حين غزا المدينة ومكّة، ورفع الجزية التي كانت بنو خندف يؤدونها إلى جرهم وطسم وجديس واليهود.

فقال له عبد الله بن عبّاس: ما الذي قال تبّع أبو كرب؟

قال نافع: قال تبّع أبو كرب هذه الأبيات:

نحن الملوك ذو العلى والسؤدد

نحن الحماة بنو الهمام الأمجد

قال: فروى عبد الله بن عبّاس الشعر عن نافع بن الأزرق، ثمّ دخل على معاوية وعلى عمرو، فأتى به كما سمعه من نافع بن الأزرق، فقال له معاوية وعمرو: علمنا أنّ مقرأك أقرب، إلاّ أنّا طلبنا منك سبباً تأتي بهذا الشاهد عليه. ثمّ عطف معاوية على عبد الله بن عبّاس، فقال له: يا أبا محمّد! هل تدري شكر تبّع فيما فعل بقومك وما كشف عنهم؟، قال له عبد الله: به جعله الله خيراً منك، قال لنبيّه محمّد ﷺ في قومك: (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ)[17]، قال معاوية: يا بن عبّاس! فما الخلب والثأط والحرمد؟، قال: الخلب: الحمأة، والثأط: ما تحتها من الطين، والحرمد: ما تحته من الحصى والحجر)[18]

وتعقب السيد الخرسان الخبر قائلا: فهذا هو الذي رواه وهب كما في كتاب (التيجان)، وليس منه في المصادر الأُخرى من سؤال ابن عبّاس من نافع، ولا ما رواه من قصيدة تبّع، اللّهمّ إلاّ ثلاثة أبيات وردت من شعره في تفسيري (فتح القدير) برواية عثمان بن أبي حاضر، وفي القرطبي مرسلاً، فليس فيهما ذكر لنافع، فلماذا فضّل الدكتور الخياطي رواية وهب في التيجان عليهما؟ على أنّ وهب بن منبّه ليس مرضيّاً في رواياته، ومن الغريب من الدكتور قوله: ((وكان نافع يحفظ شعر تبّع))، فمن أين له هذا؟ وأغرب منه، كتمانه ذكر كعب الأحبار، وإعراضه عن ذكره، مع وروده في مصدره الذي اعتمده في ذكر نافع قبل ذكره؟! وزاد غرابة ورود اسم كعب في مصادره التي ذكرها، ...، ونيّف على الجميع غرابة، إذ لم يذكر لكلّ مفردة مصدرها المخصوص بذكرها، فأحالها جميعاً على ما أشار إليه برقم (٢) في الهامش،... وفي هذا الجمع نحو تلبيس على القارئ، إذ لا يعلم مصدر كلّ مفردة ذكرها الدكتور إلاّ بعد مراجعة

الجميع، وليس كلّ قارئ يسعه مراجعة جميع مصادر الدكتور، إمّا لعدم وجودها عنده، أو تعذّرها لتعدّد طبعاتها، وفي كلّ حال فهذا منه نحو تدليس نربأ بالدكتور عن ارتكابه).[١٩]

وقد دعت الأمانة العلمية أن يعود السيد الخرسان الى جميع مصادر الدكتور الخياطي ويورد الخبر الذي نقل في كل مصدر منها بكامل نصه ليثبت حقيقة ما أفاد به ويختم حديثه قائلاً: (انتهت حصيلة ما في مصادر الخياطي بنصّها، فهل وجد القارئ سؤال ابن عبّاس من نافع بن الأزرق في غير كتاب (التيجان)؟ وهل وجد جملة: ((وكان نافع يحفظ شعر تبّع)) فيه، أو في غيره؟

وإذا كان الخياطي يعتقد بصحّتها، فلماذا لم يذكرها في ترجمته التي ذكرها لنافع بن الأزرق وأطنب فيها؟!)[٢٠].

ج- عند قول الدكتور الخياطي: ((واستشهد أيضاً بشعر تبّع الحميري)).

فمن هو الذي استشهد، أهو القشيري في تفسيره، لمكان واو العطف؟

فبين يدي تفسيره (لطائف الإشارات)، فقد ذكر تفسيره سورة الكهف في الجزء الثاني ولم يرد فيه حتّى ما نقله عنه بتوسط (إبراز المعاني)، وكان عليه مراجعة التفسير بدل الاعتماد على نقل الآخرين.

نعم، ورد في أوائل الجزء الأوّل ذكر البيت الذي استشهد به من دون قوله: ((ثبت بالتواتر...)).

قال لها هل لك يا تافي قالت له ما أنت بالمرضي[٢١]

ثالثاً: كشفه عن غفلة المفسرين والمؤرخين في نقل خبر الاحتجاج بقراءة ابن عباس.

تظهر نتائج التحقيق التاريخي عند السيد الخرسان في نموذج من روايات القراءات رواه جمع غفير من المفسرين والمؤرخين دون التفات منهم الى حقيقة تاريخية تمنع قبول الخبر ، والذي يتحدث عن ذكر ما جرى بين ابن عبّاس ومعاوية حول قراءة الآية الشريفة: (تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ)[٢٢]، واختلافهما في القراءة، فقرأها معاوية: (حامية)، فردّ عليه ابن عبّاس بأنّ الصحيح: (حمئة)، فاستشهد معاوية بابن عمرو بن العاص، فشهد له، فقال ابن عبّاس: ((إنّ القرآن نزل في بيتي))، فلم يكفّ معاوية من غلوائه، فاستنصر بكعب الأحبار، فلم ينصره، بل نصر ابن عبّاس[٢٣]

وقد تبين للسيد الخرسان بناء على منهجه في النقد التاريخي أنَّ الخبر يستبطن الكذب فإنّ كعب الأحبار مات في زمن عثمان قبل موته في سنة ٣٤ هـ ومعاوية تولى الملك سنة ٤١هـ، فكيف حصل اللقاء والسؤال؟

إنّ هذه الالتفاتة التاريخية غفل عنها جمع غفير من السابقين كالقرطبي (٦٧١هـ)

والسيوطي (٩١١هـ) في الدر المنثور وقد رواه عن عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، من طريق عثمان بن حاضر، وعند سعيد ابن منصور، وابن المنذر، من طريق عطاء... وهؤلاء هم الرعيل الأوّل من المفسّرين، كما أنّ من المؤرخين من ذكر الخبر، كالبلاذري في (أنساب الأشراف) في ترجمة ابن عبّاس[٢٤]

يقول السيد الخرسان (وقد نبّهت على غفلة أصحابها عن أنّ الخبر يستبطن كذبه، وذلك حيث ورد ذكر كعب فيه، وهذا لا يصحّ إلاّ إذا قال الرواة بالرجعة؟! فإنّ كعب قد مات في زمن عثمان قبل موته بسنة، في سنة ٣٤ هـ –، ومعاوية صار عندهم أمير المؤمنين بعد مهادنة الإمام الحسن (عليه السلام) في سنة ٤١ هـ –، فكيف استفتاه معاوية في كيفية قراءة الآية؟!)[٢٥].

وبعد ذلك يوجه السيد عتابه الى الباحثين لتقليدهم من سبقهم دون تحقق فيقول: (ولئن عذرنا الأوّلين السابقين لغفلتهم عمّا في الخبر من فجوة، بل ثلمة لا يراها فيسدّها أعشى البصر، فما بال الخالفين من المحقّقين المعاصرين من أصحاب الدراسات الأكاديمية، إنّها بلية التقليد الموروث الموبوء، ومظهر من مظاهر التقديس الموؤف بالتسييس والتسويس[٢٦]

المحور الثاني: موقف السيد الخرسان من نزول القرآن على سبعة أحرف.

أفرد السيد الخرسان بحثًا مستقلًا عن الأحرف السبعة في الجزء الرابع عشر من موسوعة عبد الله بن عباس، ورأيه فيها رأي السيد الخوئي قدس سره الذي ذكره في تفسير البيان وقد استعرض السيد الخرسان أهم الروايات التي استند عليها القائلون بنزول القرآن على سبعة أحرف وهي أحد عشر رواية وبين أنها مخالفة لصحيحة زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجئ من قبل الرواة)[٢٧] وأيضاً أنّ الصادق (عليه السلام) حكم بكذب الرواية المشهورة بين الناس: (نزل القرآن على سبعة أحرف). وقال: (ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد) [٢٨]، ومن بعد ذلك ناقش أسانيد تلك الروايات إجمالا، فبَيَّنَ أنّ المرجع بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمور الدين إنّما هو كتاب الله وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ولا قيمة للروايات إذا كانت مخالفة لما يصحّ عنهم. فإذا ثبت مخالفة تلك الروايات للصحيح الوارد عن الباقر والصادق عليهما السلام لا يهمّ عندئذ الكلام عن أسانيد تلك الروايات. وهذا أوّل شيء تسقط به الرواية عن الاعتبار والحجّية .

ومن بعد ذلك ناقش دلاليًا متون روايات الأحرف السبعة وتبين له الأمور التالية:

١. وجود التخالف والتناقض في روايات الأحرف السبعة.

فإنّ بعض الروايات دلّت على أنّ الزيادة في الأحرف كانت على التدريج وفي بعضها أن الزيادة كانت مرة واحدة ، وفي بعضها أن الزيادة كانت في مجلس واحد وبعضها أن جبريل كان ينطلق ويعود مرة بعد مرة .[٢٩]

٢. عدم التناسب بين السؤال والجواب في روايات الاحرف السبعة.

ومنه ما في رواية ابن مسعود من قول عليّ (عليه السلام): (إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم). فإنّ هذا الجواب لا يرتبط بما وقع فيه النزاع من الاختلاف في عدد الآيات.[٣٠]

توجيه نزول القرآن على سبعة أحرف .

يستعرض السيد الخرسان الآراء في توجيه نزول القرآن على سبعة أحرف مع مناقشتها وبيان مواطن الضعف فيها بالاعتماد على رأي السيد الخوئي في تفسير البيان وفيما يلي خلاصة ذلك :

الوجه الأوّل: إنّ المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة، نحو: عجّل، وأسرع، وأوسع، وكانت هذه الأحرف باقية إلى زمان عثمان، فحصرها عثمان بحرف واحد، وأمر بإحراق بقية المصاحف التي كانت على غيره من الحروف الستّة[٣١].

وقد ناقش السيد ذلك الرأي وبين أنه لايقبل لعدة أسباب :

(أوّلاً): إنّ هذا إنّما يتم في بعض معاني القرآن، التي يمكن أن يعبّر عنها بألفاظ سبعة متقاربة. ومن الضروري أنّ أكثر القرآن لا يتم فيه ذلك، فكيف تتصوّر هذه الحروف السبعة التي نزل بها القرآن؟

(ثانياً): إنّ كان المراد من هذا الوجه: أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جوّز تبديل كلمات القرآن الموجودة بكلمات أُخرى تقاربها في المعنى فهذا الاحتمال يوجب هدم أساس القرآن المعجزة الأبدية، والحجّة على جميع البشر، ولا يشكّ عاقل في أنّ ذلك يقتضي هجر القرآن المنزل، وعدم الاعتناء بشأنه. وهل يتوهّم عاقل ترخيص النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقرأ القارئ: (يس، والذكر العظيم، إنّك لمن الأنبياء، على طريق سوي، إنزال الحميد الكريم، لتخوِّف قوماً ما خوّف أسلافهم، فهم ساهون)؟!! فلتقرّ عيون المجوزين لذلك، وإذا لم يكن للنبيّ أن يبدّل القرآن من تلقاء نفسه، فكيف يجوز ذلك لغيره؟ وإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علَّم براء بن عازب دعاء كان فيه: (ونبيّك الذي أرسلت)، فقرأ براء: ورسولك الذي أرسلت. فأمره ألا يضع الرسول موضع النبيّ[٣٢]. فإذا كان هذا

في الدعاء، فماذا يكون الشأن في القرآن؟ وإن كان المراد من الوجه المتقدّم: أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قرأ على الحروف السبعة فلا بدّ للقائل بهذا أن يدلّ على هذه الحروف السبعة التي قرأ بها النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنّ الله سبحانه قد وعد بحفظ ما أنزله: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا اَلذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٣٣].

ثالثاً): صرّحت الروايات بأنّ الحكمة في نزول القرآن على سبعة أحرف هي التوسعة على الأُمّة، لأنّهم لا يستطيعون القراءة على حرف واحد، وأنّ هذا هو الذي دعا النبيّ الاستزادة إلى سبعة أحرف، وقد رأينا أنّ اختلاف القراءات أوجب أن يكفّر بعض المسلمين بعضاً، حتّى حصر عثمان القراءة بحرف واحد، وأمر بإحراق بقية المصاحف؛ ويستنتج من ذلك أمور:

١- إنّ الاختلاف في القراءة كان نقمة على الأُمّة وقد ظهر ذلك في عصر عثمان، فكيف يصحّ أن يطلب النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من الله ما فيه فساد الأُمّة؟ وكيف يصحّ على الله أن يجيبه إلى ذلك؟ وقد ورد في كثير من الروايات النهي عن الاختلاف، وأنّ فيه هلاك الأُمّة، وفي بعضها أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) تغيّر وجهه واحمرّ حين ذكر له الاختلاف في القراءة.

٢ - قد تضمّنت الروايات المتقدّمة أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إنّ أُمّتي لا تستطيع ذلك (القراءة على حرف واحد)، وهذا كذب صريح، لا يعقل نسبته إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)! لأنّا نجد الأُمّة بعد عثمان على اختلاف عناصرها ولغاتها قد استطاعت أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فكيف يكون من العسر عليها أن تجتمع على حرف واحد في زمان النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد كانت الأُمّة من العرب الفصحى؟!

٣- إنّ الاختلاف الذي أوجب لعثمان أن يحصر القراءة في حرف واحد قد اتّفق في عصر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أقرّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) كلّ قارئ على قراءته، وأمر المسلمين بالتسليم لجميعها، وأعلمهم بأنّ ذلك رحمة من الله لهم. فكيف صحّ لعثمان، ولتابعيه سدّ باب الرحمة، مع نهي النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) عن المنع عن قراءة القرآن؟! وكيف جاز للمسلمين رفض قول النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذ قول عثمان وإمضاء عمله؟! أفهل وجدوه أرأف بالأُمّة من نبيّها؟ أو أنّه تنبه لشيء قد جهله النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل وحاشاه! أو أنّ الوحي قد نزل على عثمان بنسخ تلك الحروف؟!

الوجه الثاني: إنّ المراد بالأحرف السبعة، هي الأبواب السبعة التي نزل منها القرآن، وهي: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال.

واستدلّ عليه بما رواه يونس، بإسناده عن ابن مسعود، عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنّه قال: (كان الكتاب الأوّل نزل من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. فأحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عمّا نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به كلّ من عند ربّنا)[٣٤].

ويرد على هذه الوجه:

١- أنّ ظاهر الرواية كون الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن غير الأبواب السبعة التي نزل منها، فلا يصحّ أن يجمل تفسيراً لها، كما يريده أصحاب هذا القول.

٢- أنّ هذه الرواية معارضة برواية أبي كريب، بإسناده عن ابن مسعود، قال: (إنّ الله أنزل القرآن على خمسة أحرف: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال)[٣٥].

٣- أنّ الرواية مضطربة في مفادها، فإنّ الزجر والحرام بمعنى واحد، فلا تكون الأبواب سبعة، على أنّ في القرآن أشياء أُخرى لا تدخل في هذه الأبواب السبعة، كذكر المبدأ والمعاد، والقصص، والاحتجاجات والمعارف، وغير ذلك. وإذا أراد هذا القائل أن يدرج جميع هذه الأشياء في المحكم والمتشابه، كان عليه أن يدرج الأبواب المذكورة في الرواية فيهما أيضاً، ويحصر القرآن في حرفين: (المحكم، والمتشابه)، فإنّ جميع ما في القرآن لا يخلو من أحدهما.

٤- أنّ اختلاف معاني القرآن على سبعة أحرف لا يناسب ما دلّت عليه الأحاديث المتقدّمة من التوسعة على الأُمّة، لأنّها لا تتمكّن من القراءة على حرف واحد.

٥- أنّ في الروايات المتقدّمة ما هو صريح في أنّ الحروف السبعة هي الحروف التي كانت تختلف فيها القرّاء، وهذه الرواية إذا تمت دلالتها لا تصلح قرينة على خلافها.

الوجه الثالث: أنّ الحروف السبعة، هي: الأمر، والزجر، والترغيب، والترهيب، والجدل، والقصص، والمثل، واستدلّ على ذلك، برواية محمّد بن بشار، بإسناده عن أبي قلامة، قال: بلغني أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أنزل القرآن على سبعة أحرف: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، ومثل)[٣٦]، وجوابه يظهر ممّا قدّمناه في الوجه الثاني.

الوجه الرابع: إنّ الأحرف السبعة هي اللغات الفصيحة من لغات العرب، وأنّها متفرّقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وبعضه بلغة كنانة، وبعضه بلغة تميم، وبعضه بلغة ثقيف.

ويردّه:

١- أنّ الروايات المتقدّمة قد عينت المراد من الأحرف السبعة، فلا يمكن حملها على أمثال هذه المعاني التي لا تنطبق على موردها.

٢- إنّ حمل الأحرف على اللغات ينافي ما روي عن عمر من قوله: ((نزل القرآن بلغة مضر))[٣٧]. وأنّه أنكر على ابن مسعود قراءته: (عتى حين)،

أي: حتّى حين، وكتب إليه: أنّ القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل[٣٨]. وما روي عن عثمان أنّه قال: ((للرهط القرشيين الثلاثة، إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانهم))[٣٩]. وما روى من: ((أنّ عمر وهشام ابن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان، فقرأ هشام قراءة. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (هكذا أنزلت)، وقرأ عمر قراءة غير تلك القراءة. فقال رسول الله – صلّى الله عليه وآله وسلّم – (هكذا أنزلت)، ثمّ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف). فإنّ عمر وهشام كان كلاهما من قريش، فلم يكن حينئذ ما يوجب اختلافهما في القراءة.

ويضاف إلى جميع ذلك أنّ حمل الأحرف على اللغات قول بغير علم، وتحكّم من غير دليل.

٣- أنّ القائلين بهذا القول إن أرادوا أنّ القرآن اشتمل على لغات أخرى، كانت لغة قريش خالية منها، فهذا المعنى خلاف التسهيل على الأُمّة، الذي هو الحكمة في نزول القرآن على سبعة أحرف، على ما نطقت الروايات بذلك، بل هو خلاف الواقع، فإنّ لغة قريش هي المهيمنة على سائر لغات العرب، وقد جمعت من هذه اللغات ما هو أفصحها، ولذلك استحقّت أن توزن بها العربية، وأن يرجع إليها في قواعدها.

وإن أرادوا أنّ القرآن مشتمل على لغات أخرى، ولكنّها تتحد مع لغة قريش، فلا وجه للحصر بلغات سبع، فإنّ في القرآن ما يقرب من خمسين لغة. فعن أبي بكر الواسطي: ((في القرآن من اللغات خمسون لغة، وهي لغات: قريش، وهذيل، وكنانة، وخثعم، والخزرج، وأشعر، ونمير...))[٤٠].

الوجه الخامس: إنّ الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات مضر خاصّة، وأنّها متفرّقة في القرآن، وهي لغات: قريش، وأسد، وكنانة، وهذيل، وتميم، وضبة، وقيس.

ويرد عليه جميع ما أوردناه على الوجه الرابع.

الوجه السادس: إنّ الأحرف السبعة هي وجوه الاختلاف في القراءات.

ويردّه:

١- أنّ ذلك قول لا دليل عليه، ولاسيما أنّ المخاطبين في تلك الروايات لم يكونوا يعرفون من ذلك شيئاً.

٢- أنّ من وجوه الاختلاف المذكورة ما يتغيّر فيه المعنى وما لا يتغيّر، ومن الواضح أنّ تغيّر

المعنى وعدمه لا يوجب الانقسام إلى وجهين، لأنّ حال اللفظ والقراءة لا تختلف بذلك، ونسبة الاختلاف إلى اللفظ في ذلك من قبيل وصف الشيء بحال متعلّقة. ولذلك يكون الاختلاف في (وطلح منضود، وكالعهن المنفوش) قسماً واحداً.

٣- أنّ من وجوه الاختلاف المذكور بقاء الصورة للفظ، وعدم بقائها، ومن الواضح أيضاً أنّ ذلك لا يكون سبباً للانقسام، لأنّ بقاء الصورة إنّما هو في المكتوب لا في المقروء، والقرآن اسم للمقروء لا للمكتوب، والمنزل من السماء إنّما كان لفظاً لا كتابة. وعلى هذا يكون الاختلاف في (وطلح. وننشزها) وجهاً واحداً لا وجهين.

٤- أنّ صريح الروايات المتقدّمة أنّ القرآن نزل في ابتداء الأمر على حرف واحد. ومن البيّن أنّ المراد بهذا الحرف الواحد ليس هو أحد الاختلافات المذكورة، فكيف يمكن أن يراد بالسبعة مجموعها!

٥- أنّ كثيراً من القرآن موضع اتّفاق بين القرّاء، وليس مورداً للاختلاف، فإذا أضفنا موضع الاتّفاق إلى موارد الاختلاف بلغ ثمانية. ومعنى هذا أنّ القرآن نزل على ثمانية أحرف.

٦- أنّ مورد الروايات المتقدّمة هو اختلاف القرّاء في الكلمات، وقد ذكر ذلك في قصّة عمر وغيرها. وعلى ما تقدّم فهذا الاختلاف حرف واحد من السبعة، ولا يحتاج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في رفع خصومتهم إلى الاعتذار بأنّ القرآن نزل على الأحرف السبعة، وهل يمكن أن يحمل نزول جبريل بحرف، ثمّ بحرفين، ثمّ بثلاثة، ثمّ بسبعة على هذه الاختلافات؟! وقد أنصف الجزائري في قوله: ((والأقوال في هذه المسألة كثيرة، وغالبها بعيد عن الصواب. وكأنّ القائلين بذلك ذهلوا عن مورد حديث: (أُنزل القرآن على سبعة أحرف)، فقالوا ما قالوا))[٤١].

الوجه السابع: أنّ الأحرف السبعة هي وجوه الاختلاف في القراءة، ولكن بنحو آخر غير ما تقدّم.

ويرد عليه: ما أوردناه على الوجه السادس في الإشكال الأوّل، والرابع والخامس منه.

ويردّه أيضاً: أنّ الاختلاف في الأسماء يشترك مع الاختلاف في الأفعال في كونهما اختلافاً في الهيئة، فلا معنى لجعله قسماً آخر مقابلاً له. ولو راعينا الخصوصيات في هذا التقسيم، لوجب علينا أن نعدّ كلّ واحد من الاختلاف في التثنية، والجمع والتذكير، والتأنيث، والماضي، والمضارع، والأمر قسماً مستقلاً. ويضاف إلى ذلك: أنّ الاختلاف في الإدغام، والإظهار، والروم، والإشمام، والتخفيف، والتسهيل في اللفظ الواحد لا يخرجه عن كونه لفظاً واحداً.

الوجه الثامن: أنّ لفظ السبعة يراد منه الكثرة في الآحاد، كما يراد من لفظ السبعين والسبعمائة الكثرة في العشرات أو المئات.

ويـردّه: أنّ هـذا خـلاف ظـاهر الروايـات، بـل خلاف صريح بعضها. على أنّ هذا لا يعد قولاً مستقلاً عن الوجوه الأخرى، لأنّه لم يعيّن معنى الحروف فيه، فلا بدّ وأن يراد من الحروف أحد المعاني المذكورة في الوجوه المتقدّمة؛ ويرد عليه ما يرد من الإشكال على تلك الوجوه.

الوجـه التاسـع: أنّ الأحرف السبعة هـي سبع قراءات.

ويردّه: أنّ هذه القراءات السبع إن أريد بها السبع المشهورة، فهي متأخرة زمانا عن زمن الوحي

وإن أريد بها قراءات سبع على إطلاقها، فمن الواضح أنّ عدد القراءات أكثر من ذلك بكثير، ولا يمكن أن يوجّه ذلك بأنّ غاية ما ينتهي إليه اختلاف القراءات أكثر من ذلك بكثير، الواحدة هي السبع، لأنّه إن أريد أنّ الغالب في كلمات القرآن أن تقرأ على سبعة وجوه فهذا باطل، لأنّ الكلمات التي تقرأ على سبعة وجوه قليلة جدّاً.

وإن أريد أنّ ذلك موجود في بعض الكلمات وعلى سبيل الإيجاب الجزئي، فمن الواضح أنّ في كلمات القرآن ما يقرأ بأكثر من ذلك، فقد قرأت كلمة (وعبد الطاغوت) باثنين وعشرين وجهاً، وفي كلمة (أُفٍّ) أكثر من ثلاثين وجهاً.

ويضاف إلى ما تقدّم: أنّ هذا القول لا ينطبق على مورد الروايات، ومثله أكثر الأقوال في المسألة.

الوجـه العاشـر: أنّ الأحرف السبعة يراد بها اللهجات المختلفة في لفظ واحد.

وتوضيح القول: أنّ لكلّ قوم من العرب لهجة خاصّة في تأدية بعض الكلمات، ولذلك نرى العرب يختلفون في تأدية الكلمة الواحدة حسب اختلاف لهجاتهم. فالقاف في كلمة (يقول) مثلاً يبدلها العراقي بالكاف الفارسية، ويبدلها الشامي بالهمزة، وقد أنزل القرآن على جميع هذه اللهجات للتوسعة على الأُمّة، لأنّ الالتزام بلهجة خاصّة من هذه اللهجات فيه تضييق على القبائل الأُخرى التي لم تألف هذه اللهجة، والتعبير بالسبع إنّما هو رمز إلى ما ألفوه من معنى الكمال في هذه اللفظة، فلا ينافي ذلك كثرة اللهجات العربية، وزيادتها على السبع.

الردّ: وهذا الوجه – على أنّه أحسن الوجوه التي قيلت في هذا المقام – غير تام أيضاً[٤٢]

١– لأنّه ينافي ما ورد عن عمر وعثمان من أنّ القرآن نزل بلغة قريش، وأنّ عمر منع ابن مسعود من قراءة (عتى حين).

٢– ولأنّه ينافي مخاصمة عمر مع هشام بن حكيم في القراءة، مع أنّ كليهما من قريش.

٣– ولأنّه ينافي مورد الروايات، بل وصراحة بعضها في أنّ الاختلاف كان في جوهر اللفظ، لا في كيفية أدائه، وأنّ هذا من الأحرف التي نزل بها القرآن.

٤- ولأنّ حمل لفظ السبع - على ما ذكره - خلاف ظاهر الروايات، بل وخلاف صريح بعضها.

٥- ولأنّ لازم هذا القول جواز القراءة فعلاً باللهجات المتعدّدة، وهو خلاف السيرة القطعية من جميع المسلمين، ولا يمكن أن يدّعي نسخ جواز القراءة بغير اللهجة الواحدة المتعارفة، لأنّه قول بغير دليل، ولا يمكن لقائله أن يستدلّ على النسخ بالإجماع القطعي على ذلك، لأنّ مدرك الإجماع إنّما هو عدم ثبوت نزول القرآن على اللهجات المختلفة، فإذا فرضنا ثبوت ذلك كما يقوله أصحاب هذا القول، فكيف يمكن تحصيل الإجماع على ذلك؟ مع أنّ إصرار النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) على نزول القرآن على سبعة أحرف إنّما كان للتوسعة على الأُمّة، فكيف يمكن أن يختصّ ذلك بزمان قليل بعد نزول القرآن؟ وكيف يصحّ أن يقوم على ذلك إجماع أو غيره من الأدلّة؟! ومن الواضح أنّ الأُمّة - بعد ذلك - أكثر احتياجاً إلى التوسعة، لأن المعتنقين للإسلام في ذلك الزمان قليلون. فيمكنهم أن يجتمعوا في قراءة القرآن على لهجة واحدة، وهذا بخلاف المسلمين في الأزمنة المتأخّرة، ولنقتصر على ما ذكرنا من الأقوال فإنّ فيه كفاية عن ذكر البقية والتعرّض لجوابها وردّها.

وفي ختام كلامه يؤكد السيد الخرسان ما ذهب إليه السيد الخوئي بأنّ نزول القرآن على سبعة أحرف لا يرجع إلى معنى صحيح، فلا بدّ من طرح الروايات الدالّة عليه، ولاسيما بعد أن دلّت أحاديث الصادقين - (عليهم السلام) - على تكذيبها، وأنّ القرآن إنّما نزل على حرف واحد، وأنّ الاختلاف قد جاء من قبل الرواة[٤٣].

الخاتمة:

يمكن تلخيص أبرز نتائج البحث بالنقاط التالية:

١- أظهر البحث استعمال السيد محمد مهدي الخرسان لمنهج التحقيق التاريخي في كشف العلل الخفية في روايات القراءات القرآنية.

٢- لم يظهر للبحث توظيف السيد الخرسان للقراءات القرآنية كمنبع من منابع التفسير أو رافدا من روافد توجيه المعنى التفسيري.

٣- رصد البحث اتفاقاً تاماً في الآراء بين السيد الخوئي أعلى الله مقامه والسيد الخرسان في مسألة التعامل مع القراءات.

٤- انكشفَ للبحث عدم قبول السيد الخرسان بالرأي القائل بارتباط الأحرف السبع بالقراءات القرآنية.

٥- تجلى للبحث موافقة السيد الخرسان لرأي علماء الإمامية في التعامل مع القراءات القرآنية كنص بشريٍ مختلف عن النص القرآني المعجز.

الهوامش:

١ معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ)،١/١٧.

٢ مجمع البيان، الطبرسي ٩/٩٥.

٣ تفسير الرّازي، الفخر الرازي ١٣/٤٩١.

٤ الكشاف، الزمخشري ٣/١٠٣.

٥ تفسير الآلوسي ١٨/٤٠٧.

٦ تفسير النسفي ٣/٢٩٩.

٧ اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل الدمشقي ١٤/١٥٠.

٨ التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ٢٥/٢٦٠، ط الدار التونسية ١٩٨٤ م.

٩ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٤، الصفحة: ١٦١.

١٠ ينظر مجلة دار الحديث الحسنية /١٢١،1998م ١٤١٨هـ

١١ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، ، الجزء: ١٣، الصفحة: ٣٩٣

١٢ صحيح البخاري – كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة – باب قول النبيّ صلي الله عليه و آله و سلم: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء.

١٣ موسوعة عبد الله بن عباس ،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٣، الصفحة: ٣٩٣

١٤ سورة النساء/ ٤٦.

١٥ موسوعة عبد الله بن عباس ،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٣، الصفحة: ٤٠٥.

١٦ سورة الكهف/ ٨٦.

١٧ سورة الدخان/ ٣٧.

١٨ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٣، الصفحة: ٣٩٤.

١٩ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٣، الصفحة: ٣٩٨.

٢٠ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٣، الصفحة: ٤٠١.

٢١ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٣، الصفحة: ٣٩٣.

٢٢ سورة الكهف/ ٨٦.

٢٣ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٤، الصفحة: ٢٢٥.

٢٤ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٤، الصفحة: ٢٢٦.

٢٥ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٤، الصفحة: ٢٢٥.

٢٦ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٤، الصفحة: ٢٢٥.

٢٧ الكافي ،الكليني ،٢/٦٣٠.

٢٨ المصدر السابق.

٢٩ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٤، الصفحة: ٢٠٧.

٣٠ المصدر السابق ، الجزء: ١٤، الصفحة: ٢٠٨.

٣١ المصدر نفسه، الجزء: ١٤، الصفحة: ٢٠٨.

٣٢ التبيان: ٥٨.

٣٣ سورة الحجر/ ٩.

٣٤ تفسير الطبري ١/٢٣.

٣٥ تفسير الطبري ١/٢٤.

٣٦ المصدر نفسه.

٣٧ التبيان: ٦٤.

٣٨ التبيان: ٦٥.

٣٩ صحيح البخاري: ١٥٦ باب نزول القرآن بلسان قريش.

٤٠ ينظر: الإتقان ١ / ٢٣٠.

٤١ التبيان: ٥٩.

٤٢ موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن،السيد محمد مهدي الخرسان، الجزء: ١٤، الصفحة: ٢٢١.

٤٣ المصدر نفسه الجزء: ١٤، الصفحة: ٢٢٣.

قائمة المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٦٨ هـ .

٢. **التبيان في تفسير القرآن**، محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ –)، تحقيق أحمد القصير، الطبعة العلمية الأولى النجف الأشرف، وطبعة النعمان.

٣. **التحرير والتنوير**، الطاهر ابن عاشور، ط الدار التونسية ١٩٨٤ م.

٤. **تفسير البحر المحيط**، محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ –)، طبعة دار إحياء الفكر بيروت، وطبعة مصر.

٥. **تفسير الكشّاف**، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٨٣ هـ –)، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر ١٣٦٧ هـ –، وطبعة ١٣٨٥ هـ –.

٦. **جامع البيان عن تأويل القرآن/ تفسير الطبري**، محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ –)، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر ١٣٧٣ هـ –، وطبعة دار المعارف بتحقيق أحمد محمّد شاكر، والطبعة الأميرية الكبرى ١٣٢٥ هـ

٧. **روح المعاني/ تفسير**، أبي الثناء محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ –)، طبعة المنيرية الثانية مصر، وطبعة الأستانة، وطبعة إحياء التراث.

٨. **صحيح البخاري**، محمّد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ –)، طبعة بولاق مصر ١٣١٢ هـ –، و١٣١٤ هـ –، وطبعة دار الخلافة المطبعة العامرة.

٩. **الكافي،** محمّد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ ه)، الطبعة الحجرية ١٣١٢ ه ، وطبعة دار الكتب الإسلامية طهران، وطبعة المطبعة الإسلامية ١٣٨٨ ه.

١٠.**مجلة دار الحديث الحسنية** /١٢١،اصدار عام ١٩٩٨م ١٤١٨ه

١١.**مجمع البيان/ تفسير**، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ ه –)، طبعة صيدا، وطبعة الأعلمي.

١٢.**مدارك التنزيل وحقائق التأويل/ تفسير النسفي،** عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٥٣٧ ه –)، طبعة دار الفكر، بيروت.

١٣.**معجم الأدباء/ إرشاد الأريب،** ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ ه –)، طبعة مرجليوب، وطبعة دار المأمون مصر، وطبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١ ه –.

١٤.**موسوعة عبدالله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن،** السيد محمّد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، مركز الأبحاث العقائدية، ايران–قم، ١٤٢٨ه، المطبعة : ستارة.

Sources and References

1. Al-Itqan fi Ulum al-Qur'an (Mastery of Qur'anic Sciences), by Abd al-Rahman ibn Abi Bakr Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH), Hijazi Press, Cairo, 1368 AH.
2. Al-Tibyan fi Tafsir al-Qur'an (The Clarification of Qur'anic Exegesis), by Muhammad ibn al-Hasan al-Tusi (d. 460 AH), edited by Ahmad al-Qusayr, first scientific edition, Najaf, and the Nu'man edition.
3. Al-Tahrir wa al-Tanwir (The Liberation and Enlightenment), by al-Tahir ibn Ashur, published by Dar al-Tunisiyya, 1984 CE.
4. Tafsir al-Bahr al-Muhit (The Ocean of Extensive Commentary), by Muhammad ibn Yusuf ibn Ali ibn Yusuf ibn Hayyan al-Andalusi (d. 745 AH), published by Dar Ihya' al-Fikr, Beirut, and the Egyptian edition.
5. Al-Kashshaf Commentary, by Jar Allah Mahmud ibn Umar al-Zamakhshari (d. 583 AH), published by Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons, Egypt, 1367 AH, and 1385 AH.
6. Jami' al-Bayan 'an Ta'wil al-Qur'an/Tafsir al-Tabari, by Muhammad ibn Jarir al-Tabari (d. 310 AH), published by Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons, Egypt, 1373 AH, and by Dar al-Ma'arif, edited by Ahmad Muhammad Shakir, and the Great Amiri Edition, 1325 AH.
7. Ruh al-Ma'ani/Tafsir, by Abu al-Thana' Mahmud al-Alusi (d. 1270 AH), published by al-Muniriyya, second edition, Egypt, and by Ihya' al-Turath. 8. Sahih al-Bukhari, by Muhammad ibn Isma'il al-

Bukhari (d. 256 AH), published in Bulaq, Egypt, 1312 AH and 1314 AH, and by Dar al-Khilafa, al-Matba'a al-'Amira.
9. Al-Kafi, by Muhammad ibn Ya'qub al-Kulayni (d. 329 AH), lithograph edition, 1312 AH, published by Dar al-Kutub al-Islamiyya, Tehran, and by al-Matba'a al-Islamiyya, 1388 AH.
10. Dar al-Hadith al-Hasaniyya Journal, issue 121, 1998 CE/1418 AH.
11. Majma' al-Bayan/Tafsir, by al-Fadl ibn al-Hasan al-Tabarsi (d. 548 AH), published in Sidon and by al-A'lami.
12. Madarik al-Tanzil wa Haqa'iq al-Ta'wil/Tafsir al-Nasafi, by 'Abd Allah ibn Ahmad ibn Mahmud al-Nasafi (d. 537 AH), published by Dar al-Fikr, Beirut. 13. Mu'jam al-Udaba'/Irshad al-Arib, by Yaqut ibn 'Abd Allah al-Rumi al-Hamawi (d. 626 AH), Margoliub edition, Dar al-Ma'mun edition (Egypt), and Dar al-Kutub al-'Ilmiyya edition (Beirut, 1411 AH).
14. Mawsu'at 'Abd Allah ibn 'Abbas, Habr al-Ummah wa Tarjuman al-Qur'an, by Sayyid Muhammad Mahdi al-Sayyid Hasan al-Musawi al-Kharsan, Center for Creedal Research, Qom, Iran, 1428 AH, Setareh Press.